قصص النساء في القرآن

أم موســى

[6] أم موسى

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: ٧]؛ وهي يوكابد، أُمرت بإلقاء ابنها موسى عليه السلام في اليمّ وهو نيل مصر.

***

موجز القصة:

كانت أم موسى هي أساس قيام الأمة بعد سنوات الهزيمة والانحدار، ولقد كان بناء أمة بأسرها يبدأ بامرأة واحدة، بل كانت هزيمة أكبر قوة إجرامية على مر التاريخ الإنساني تبدأ بتلك المرأة، هزيمة أعظم جبارٍ عرفه الإنسان بدأت بامرأة فقيرة تسكن في بيت صغير على ضفاف النيل.

وهنا يأتي دور المرأة المسلمة في صناعة النصر؛ فالمرأة هي التي أراد الله تعالى من خلالها أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة؛ فوالله لن تقوم أمة من هزيمتها وهي تحقر نساءها فزوجتك التي عودتها على الذل والهوان لن تنجب لك إلا ذليلا، وأختك التي تضربها في الغداة والعشي لن تربي إلا إمعة، وأمك التي لا تحترمها لن تدعو لك إلا بالهزيمة والخذلان، وابنتك التي تمنعها من العلم لن تكون إلا تافهة تضاف إلى التافهات في هذه الأمة؛ فالله الله في النساء فهن أساس البناء الصحيح، وهن أساس القيام.

وقصة أم موسى بدأت قبل ذلك بكثير، وبالتحديد قبل 300 عام

أو يزيد في ذلك الوقت بيع طفل بثمن بخس في أرض مصر بعد أن وجدته سيارة في بئر من آبار فلسطين، هذا الطفل كان يقال له يوسف ليصبح يوسف عليه السلام بذلك عبدا عند ملك من ملوك الهكسوس الذين كانوا يحتلون مصر في حينها؛ ثم أصبح بعدها وزيرا مقربا للملك ليأتي بأهله جميعا إلى مصر ليعشوا في رعاية الملك في سلام وأمان.

ولكن المشكلة تبدأ بعد ذلك بسنوات عندما جاء الفرعون أحمس الأول ليُنهي دولة الهكسوس، وليعتبر أحفاد يوسف وإخوته خونة تعاونوا مع الاحتلال الهكسوسي لمصر؛ فكان ذلك هو سبب استبعاد الفراعنة لبني إسرائيل؛ فلقد كان يوسف هذا يوسف بن يعقوب أو يوسف بن إسرائيل عليه وعلى أبيه وعلى جده وعلى أبي جده السلام، وكان ذرية يوسف وإخوته الأحد عشر هم أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر.

المهم أن بني إسرائيل رضوا بحياة الذل والإهانة في مصر لمدة 300 عام، وهذه الأعوام الـ 300 هي التي كونت الشخصية المميزة لأولئك القوم؛ فقد تعودوا خلالها على حياة الذل والاستبعاد، حتى جاء فرعون من الفراعنة يسمى رمسيس الثاني، هذا الفرعون كان سفاحا مجرما، فلقد رأى ذلك الفرعون في منامه أنه سيولد في بني إسرائيل مولود سيدمر حكمه ويزيل سلطانه، فقام هذا المجرم بقتل كل مواليد بني إسرائيل من الذكور.

قال وهب: بلغني أن فرعون ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد ويقال: تسعون ألفا.

وبعد أن نقص عدد العبيد في قصره نتيجة لتقلص أعداد الإسرائيليين أمر فرعون بقتل الأولاد في سنة وإبقائهم في سنة؛ فولد لا امرأة من بني إسرائيل يقال لها في كتب التاريخ اليهودية اسم يكابد مولود ذكر اسمه هارون في السنة التي ليس فيها قتل، ثم ولد لها في سنة القتل مولود ذكر، فخافت عليه خوفا شديدا، فأوحى الله تعالى إليها عن طريق الإلهام أمرا عجيبا.

فقد أوحى الله إليها أن تضعه في تابوت فتقذفه في نهر النيل، فقالت فرقة: كان قولا في منامها وقال قتادة: كان إلهاما وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها، قال مقاتل: أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور الذي أخرجه ومسلم، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وقد سلمت على عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيا. المهم أن الله سبحانه تعالى أوحى إليها أن تقذفه في التابوت؛ وقال سبحانه وتعالى لها:{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧].

وقوله تعالى:{وَلَا تَخَافِي} فيه وجهان؛ الأول: لا تخافي عليه الغرق؛ قاله ابن زيد.

الثاني: لا تخافي عليه الضيعة؛ قاله يحيي بن سلام.

وقوله تعالى:{وَلَا تَحْزَنِي} فيه وجهان؛ الأول: لا تحزني لفراقه؛ قاله ابن زيد.

الثاني: لا تحزني أن يقتل؛ قاله يحيي بن سلام.

فما كان من هذه السيدة العظيمة إلا أن استجابت لأمر الله تعالى من دون أي تردد، ولكنها بعثت بابنتها لتترقب ذلك الصندوق المبحر في مياه النيل.

ثم بعد أن نجاه الله تعالى على يد أعداءه رجع إليها لترضعه؛ لأنه لم يكن ليرتضع إلا من أمه بحكم الله تعالى القدري، وكان فرعون عليه لعنة الله تعالى يعطها كل يوم دينارٍ.

قال الزمخشري: فإن قلت كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربي تأخذه على وجه الاستباحة. فنعم أم موسى الصابرة المحتسبة.

ما يؤخذ من هذه القصة:

لقد علمتنا أم موسى عليه وعليها السلام الصبر؛ فيجب على كل أم تتقي الله تعالى وتعلم علم اليقين أنها ستلاقيه أن تصبر على البلاء الذي أصابها. ويجب على كل مسلم أن يتعلم من أم موسى الصبر على ما يصبه من الغم والكرب؛ فالصبر مفتاح الفرج ومفتاح السعادة.

قال العلامة ابن القيم: والصبر على ثلاثة أقسام [1]:

الأول: الصبر على طاعة الله تعالى.

الثاني: الصبر على معصية الله تعالى.

الثالث: الصبر على أقدار الله تعالى.

(1) مدارج السالكين لابن القيم 1 / 165.

والنوع الثالث كان من شأن أم موسى عليها السلام؛ فإلقاء موسى عليه السلام في اليم قدر قدره الله تعالى وقضى به، ومع ذلك فهي كانت صابرة على هذا القضاء وعلى هذا القدر، وهذا حال الصلحاء والأتقياء وأولي النهى.

قال علماؤنا: والناس إزاء المصيبة على أربع درجات:

الأول: **الجازع**؛ وهذا قد فعل محرمًا لأن الجزع تسخط على قضاء الله تعالى وقدره.

الثاني: **الصابر**؛ فهذا قد أتى بالواجب المأمور به عند حلول المصيبة.

الثالث: **الراضي**؛ وهو الذي لا يبالي بهذه المصيبة لأنه يعلم أنها من عند الله تعالى، فلا يكون في قلبه تحسر ولا ندم.

الرابع: **الشاكر**؛ وهو أن يشكر الله تعالى على هذه المصيبة.

فإن قال قائل: كيف يشكر الله تعالى على هذه المصيبة؟

قلنا: من وجهين:

الأول: أن ينظر إلى مصيبة غيره الأعظم من مصيبته فيشكر الله تعالى على هذا؛ قال صلى الله عليه وسلم :**"لا تنظروا إلى من هو فوقكم وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم** - [1].

الثاني: أن يعلم أنه يحصل له بهذه المصيبة تكفير للسيئات ورفعة الدرجات إذا صبر؛ فما في الآخرة خير مما في الدنيا فيشكر الله تعالى على هذا.

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2963).

و أم موسى عليها السلام لما أصابها ما أصابها من إلقاء ابنها وفلذة كبدها في اليم كانت صابرة راضية شاكرة؛ فأين نحن من هذه الأم العظيمة؛ فرضي الله عنها وأرضاها وجعل أعالي الفردوس مسكنها ومثواها.

تمت القصة بعون الله تعالى

* * *